

دور مؤسسة الحسبة في حماية البيئة

د. عز الدين يعنى

جامعة أدرار

مقدمة

لقد اكتست قضايا "البيئة" وحماتها اهتماماً متزايداً على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي... خاصة فترة ما بعد مؤتمر استوكهولم التي شهدت تصاعداً في "الوعي البيئي الدولي" مما أثمر ظهور اتفاقيات عالمية وإقليمية وتشريعات داخلية عديدة... اعتبرت إنجازاً ملحوظاً¹ وكان مؤتمر "ريو" الذي عقد عام 1972 أكبر المؤتمرات حتى سمي مؤتمر قمة الأرض وكانت أهدافه: حماية كوكب الأرض، والمحافظة على التنوع الحيوي، والحد من التلوث والفقر والتدهور الصحي وتزايد عدد السكان² ولقد شرع المجتمع الدولي خلال السنوات الخمس التي تلت مؤتمر قمة الأرض في احتضان مفهوم التنمية المستدامة... ولقد اتسمت خطابات الأكثر من مائة زعيم من زعماء العالم في قمة الأرض بالبالغة الجرئية حول تخصيص بلايين الدولارات للتحدي الجديد للتنمية المستدامة بيئياً. غير أن العالم بدا وكأنه يسير إلى الوراء فقد لاحظ إعلان "مالو" الوزاري الذي اعتمده المنتدى العالمي في مايو 2000 بقلق عميق وجود معدل متزايد لتدهور البيئة...³.

¹ — بحث بعنوان: الإدارة الدولية لقضايا البيئة لأحمد سوفى محمد إسماعيل ص (191) المنشور في مجلة السياسة الدولية العدد 147 يناير 2002 مؤسسة الأهرام، مصر.

² — نفس المرجع الصفحة (192).

³ — نفس المرجع الصفحة (192).

فعلى سبيل المثال أدى "نقص المياه النظيفة إلى عودة" ظهور الأمراض المعدية في الكثير من الدول النامية مع حلول الاضطراب في الأجهزة المناعية والتكاثرية الإنسانية والحيوانية بفعل الكيماويات ذات القاعدة الكلورية التي غدت ذائعة الصيت في الأنظمة البيئية.

إن أكبر خطأ ترتكبه أية استراتيجية أو برنامج لمعالجة القضايا البيئية والمسألة البيئية هي معالجتها كما لو كانت اهتمامات منفصلة أكثر مما هي مشاكل تكون جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع كله بكل مكوناته المادية والمعنوية وهذا الكلام يدعونا إلى تحديد واختبار المفهوم العام والشمولي للبيئة لأن العلاقة بين المكونات نفسها من جهة ثم بينها وبين الإنسان من جهة أخرى تقوم على أسس ومبادئ، والجميع يتبادل التأثير والتأثر وأي تقصير من الإنسان يؤدي إلى نتائج خطيرة تهدد البيئة والإنسان على حد سواء.

وانطلاقاً من هذا المفهوم الشامل للبيئة، وانطلاقاً من أن الإسلام الحنيف نظام كامل يشمل الدنيا والدين معا وينسق بين الروحانيات والزمنيات بل ينفرد بتنسيقه بين شؤون المادة وشؤون الروح وبين سلطات الدولة وتوجيهات الدين وبين العمل في الدنيا والاستعداد للآخرة بنظم واضحة وصریحة تتعادل فيها الحقوق والواجبات ويتساوى فيها الجهد والجزاء، وتكفل فيها الضمانات المعيشية المادية وضمانات العدالة القانونية وهذا ما صرح به غير واحد حتى من غير المسلمين...¹

ومن هنا فإن معالجة المشكلة البيئية ابتداءً إنما تكون برجوع الإنسان إلى الفطرة وهي كما عرفها العالم التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله "الفطرة: الخلقة أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق. ففطرة الإنسان هي ما فطر أي خلق عليه الإنسان ظاهراً وباطناً أي جسداً وعقلاً فمشتي الإنسان برجليه فطرة جسدية ومحاوله أن يتناول الأشياء برجليه خلاف للفطرة. واستنتاج

¹ - أمثال لويس غردية ينظر د. صبحي الصالح النظم الإسلامية [نشأتها وتطورها] ص (55، 56، 57) دار العلم للملايين بيروت ط 4 (78).

المسيبات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية فاستتاج الشيء من غير سببه المسمى في علم الاستدلال بفساد الوضع بخلاف الفطرة العقلية...¹ وهكذا.

ولقد استدل على ذلك بقوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾²، ولقد نقل أقوال علماء التفسير في ذلك وبين أن المراد بالخطاب جميع المسلمين باتفاق، وأن المراد بوجهه جميع ذاته، وخص الوجه بالذكر لأنه جامع الخواص وآلات الإدراك، والفطرة في الآية جملة الدين بعقائده وشرائعه ولذلك فسرده ابن عطية والزمخشري³ وتنفرع من هذه أن الشريعة الإسلامية داعية أهلها - والبشرية - إلى تقويم الفطرة والحفاظ على أعمالها، وإحياء ما اندرس منها أو اختلط بها فالزواج والإرضاع من الفطرة والشواهد ظاهرة في الخلقة والتعاوض وآداب المعاشرة من الفطرة لأنهما اقتضاهما التعاون على البقاء وحفظ الأنفس والأنساب من الفطرة، والحضارة الحق من الفطرة لأنها من آثار حركة العقل الذي هو من الفطرة، وأنواع المعارف الصالحة من الفطرة لأنها متولدة عن تلاقي العقول وتفاوضها والمخترعات من الفطرة لأنها منشأة عن التفكير وفي الفطرة حب الظهور لما تولد عن الحلقة... ونحن إذا تأملنا في القصد العام من التشريع نجده لا يعدو أن يساير الفطرة والحذر من خرقها واختلالها ولعل ما أفضى إلى خرق عظيم فيها يعد في الشرع محذوراً ومحظوراً وما أفضى إلى حفظ كيائها يعد واجباً مفروضاً⁴ أليس الاستنساخ البشري خروج عن الفطرة؟ وجنون البقر ألم يكن نتيجة لمعارضة الفطرة؟ والإيدز ألم يكن ثمرة الخطيئة

¹ - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ص (57) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر والشركة التونسية للتوزيع تونس (أبريل 1985).

² - سورة الروم الآية (30).

³ - مقاصد الشريعة ص (56 57).

⁴ - المرجع نفسه بنصرف.

والشذوذ عن الفطرة؟ أو ليس استنفاد المواد الطبيعية وتبذيرها خروج عن الفطرة؟ والمرض الإشعاعي وتلويث التربة بالنفايات وكذا المياه والغلاف المائي بالمكونات الكيماوية والعضوية والفيزيائية، وتلويث الغلاف الجوي؟ وهل يجهل دور الحروب في تلويث البيئة... ألا يصدق في ذلك كله قوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾¹.

ولهذا فإن القاعدة الشرعية والاجتماعية تقرر أنه: كلما كان الإنسان على الفطرة كان محافظاً على البيئة وكانت البيئة محمية صحيحة سليمة معافاة والعكس بالعكس.

ورغم هذه القاعدة العامة، التي يقصد منها التأصيل لموضوع البيئة كونه بحثاً حديثاً أو حقاً من الحقوق الجديدة. فقد عرفت الحضارة الإسلامية نظاماً إدارياً فعالاً في حماية البيئة. بمفهومها الشامل ألا وهو: نظام الحسبة. هذا النظام الذي هو نموذج ومثال حي للنظم السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية الحضارية التي قام عليها هذا الدين وأنشأ مدينة ملأت الكون حكمة وعدلاً وإنصافاً وحباً وسلاماً.

ويتضح من الدراسة المعمقة لموضوع الحسبة وآفاقها الواسعة معالم النظم السياسية والإدارية في الإسلام بطابعها الأصيل وامتزاعها الاجتماعي وقيامها على أساس العدل من الحكام والمحكومين ولقد بدأت في عصر النبوة وعصر الراشدين باللغة البساطة ثم أصابها ما يصيب النبتة الجديدة فتهيج ثم تخرج من كل زوج بهيج².

فما هو نظام الحسبة؟ وما هي ملامحه؟ وهل يمكن بعثه من جديد؟ وكيف كان ويكون لهذه المؤسسة الدور في حماية البيئة؟ ذلك ما سيكون محل عرض الباحثين التاليين.

¹ - سورة الروم الآية (14).

² - النظم الإسلامية (نشأتها وتطورها) ص (334).

التعريف بمؤسسة الحسبة.

تمهيد:

لقد أفاض القول في الحسبة (كولاية أو ديوان أو خطة) علماء الأحكام السلطانية والسياسية الشرعية والولايات أو الخطط الدينية وذكروا العجب العجيب عن تفاصيلها حتى ذكروا غشوش العقاقير ووصفوا فروع الطب المختلفة¹ بل وبحثوا عن أهوية البلدان ونفعها للأمراض² وبحث أغلب الفقهاء عن أحكام الحسبة ضمن أبواب الفقه، وبعضهم أفردوها بالتأليف ومن اشتهر بالكتابة في الحسبة: عبد الرحمن الشيرزي (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) وأبو الحسن الماوردي (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) وابن تيمية (الحسبة أو قاعدة في الحسبة) ومحمد بن محمد بن الأخوة (معالم القرية في أحكام الحسبة) وعبد الرحمن بن خلدون في (المقدمة) ومن المعاصرين الدكتور إمام محمد كمال الدين (أصول الحسبة في الإسلام) والشيخ علي الخفيف (كتاب الحسبة) والدكتور أستاذنا الفاضل موسى لقبال في: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها). وغيرهم ولأهمية هذا المبحث نقسمه إلى:

تعريف الحسبة

في اللغة: أشهر الأقوال أنها قد تأتي بمعنى من المعاني التالية:

الكف والإنكار يقال: احتسب عليه أي أنكر وحسبك درهم أي كفاك.

¹ — الشيرزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة نقلا عن مصادر البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، د.

عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. دار الشروق جدة (1983) ط2 (1403).

² — مصطفى نجيب حماة الإسلام ص (155) دار الكتاب العربي.

المثوية والأجر ومنه حديث (من صام رمضان إيماناً واحتساباً...) ¹.

حسن التدبير حيث يقال: فلان حسن الحسبة ².

ولا بأس بالجمع بين جميع هذه الأقوال والآراء وإن كان القول الأول هو الأنسب للتعريف الاصطلاحي وهو ما نورد فيما يلي:

في الاصطلاح: ولقد وردت في ذلك تعاريف كثيرة متقاربة المعنى وإن اختلفت قصراً وطولاً في المبنى واختار بعض هذه التعاريف فيما يلي:

الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر وهو لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ³.

أو هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو للعلامة ابن خلدون ⁴.

ومن التعاريف المطولة نختار تعريف الدكتور منير العجلاني وهو أن الحسبة: اسم لمنصب في الدول الإسلامية كان صاحبه بمرتبة مراقب التجار وأرباب المهن والحرف يمنعهم من الغش في عملهم ومصنوعاتهم ويأخذهم باستعمال المكايل والموازين الصحيحة وربما سعر عليهم بضائعهم ⁵ غير أن هذا التعريف يقصر مهمة المحتسب على المجال التجاري والاقتصادي ولذلك نورد تعريفاً جامعاً لوظيفة المحتسب وهو: "أن الحسبة وظيفة من الوظائف الأساسية التي تقوم بها الدولة الإسلامية عن طريق جهاز مهمته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يقوم

¹ - حديث (من صام رمضان) البخاري كتاب الصوم باب من صام رمضان رقم (1901) ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان رقم (760).

² - الأصفهاني معجم مفردات ألفاظ القرآن ص (116). مختار الصحاح ص (135).

³ - الإحياء (323/2) دار إحياء الكتب العلمية.

⁴ - المقدمة (1/280) الدار التونسية للكتاب والمؤسسة الوطنية، الجزائر (1984).

⁵ - د. منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم ص (288).

بالرقابة الدائمة والمستمرة لنشاط الأفراد في المجال الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي والديني... ليكون منسجماً مع تعاليم الإسلام" وهو تعريف الدكتور صالح صالح¹. ولاشك أنه يوسع وظائف المحتسب ولا يقصر مهمته في جانب واحد وهو قريب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن وظيفة المحتسب فقد قال عنه "إنه يأمر بالجمعة والجماعات وبصدق الحديث وأداء الأمانات وينهي عن المنكرات من الكذب والخيانة وما يدخل في ذلك من تطفيف المكيال والميزان والغش في الصناعات والبيعات والديانات.. ونحو ذلك"².

هل أن نظام الحسبة أصيل أم مقتبس دخيل؟

من المفيد أن نجيب عن هذا السؤال الذي صار تقليدياً والمتمثل في تاريخ نشأة نظام الحسبة وهل هو نتاج أصيل عن الحضارة الإسلامية أم مقتبس من الأنظمة السابقة اليونانية أو الرومانية أو غيرها؟ أما الرأي الثاني فقد رآه بعض الباحثين في تاريخ الحسبة وفي مقدمتهم الدكتور منير العجلاني فهو يقر بشيء من الاحتمال أنه من غير المستحيل أن يكون الأمويون قد أقرروا المحتسب الروماني في عمله مدة ما³، أما (نقولا زيادة) فقد جزم بأن الحسبة الإسلامية ذات أصل يوناني⁴.

ولا ينكر تأثير الحضارات الإنسانية بعضها ببعض واقتباسها من الأخرى مبادئ أو أساليب، ولكن التعميم والاطراد هو المرفوض فأبي جديد نافع إلا ويرد أصله إلى الرومان أو اليونان أو غيرهما.

¹ - د. صالح صالح، دليل الباحث في الاقتصاد الإسلامي ص (224).

² - مجموع الفتاوى (71/28) مكتبة المعارف الرباط المغرب.

³ - عبقرية الإسلام في أصول الحكم ص (239). دار النفائس بيروت الطبعة الثانية (1409هـ - 1988م).

⁴ - كتاب الحسبة والمحتسب في الإسلام ص (32-33).

وفي موضوع الحسبة يمكن الرد على كل من يجزم بأن الحسبة الإسلامية لم تكن أصيلة بأدلة كثيرة نوجزها فيما يلي:

أن الرسول ﷺ هو أول محتسب في الإسلام وقد احتسب بنفسه فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام... من غشنا فليس منا)¹ وقد ولي سعيد بن العاص سوق مكة بعد فتحها في السنة الثامنة للهجرة² وقبل أن يقع أي اتصال بين المسلمين وجيرانهم الروم وفي هذا حجة دامغة على أن الحسبة نشأت استناداً إلى حاجات المجتمع وضروراته من غير اقتباس عن أحد.

ثم إن منشأ الحسبتين مختلف كل الاختلاف فالمحتسب الروماني (الأيديل) أو اليوناني (الأغورانوموس) كان موظفاً مدنياً محضاً من حيث مبدأ الوجود ومن حيث التطبيق ومن حيث أساليب العمل. أما المحتسب المسلم فقد انطلق من مبدأ قرآني ديني وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) واستند إلى قاعدة الحلال والحرام والثواب والعقاب فأين هذا من ذلك؟

إن إحداث الحسبة لم يكن يحتاج إلى عبقرية نادرة ولكن تحديد مبادئها وقواعدها ومنطلقاتها وتطبيقاتها كان يحتاج إلى عبقرية نادرة ولم يكن ذلك ممكناً في المجتمع الذي أقامه الإسلام إلا استناداً إلى أحكامه وقواعده ومبادئه.

بل إن التاريخ قد نطق بحدوث العكس وهو أن الصليبيين أثناء احتلالهم للأراضي المقدسة وإقامتهم المملكة اللاتينية في فلسطين وما جاورها أبقوا على منصب المحتسب في المناطق التي استولوا عليها³ وكذلك تمسك الأسبان بالحسبة حتى بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس واهتموا بها اهتماماً خاصاً إلى الآن في الجامعة والدراسات الجامعية⁴ فما بالهم لم يأخذوا نظام (الأيديل) أو نظام (الأغورانوموس) وإنما أخذوا الحسبة الإسلامية؟!

¹ - حديث (من غشنا)، مسلم رقم 102/101 كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا.

² - ابن عبد البر، الاستيعاب على هامش الإصابة لابن حجر، دار صادر الطبعة الأولى (1983).

³ - نقولا زيادة، كتاب الحسبة والمحتسب في الإسلام ص (39-41).

⁴ - د. موسى لقبال، الحسبة المنهية في بلاد المغرب العربي ص (26)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 71.

والجواب واضح ذلك أن البقاء للأصلح، وشتان بين الحسبتين في الروح والمنهج والأسلوب!¹.

سعة موضوع الحسبة

إن موضوع الحسبة واسع جداً بحيث يتعلق بأي فرد في المجتمع - بلا استثناء - إذا صدر منه منكر أو قصر في معروف سواء كان حاكماً للمسلمين أو واحداً من عموم الناس قريباً أو بعيداً مسلماً أو غير مسلم حتى يصل الأمر إلى غير المكلف كالصبي والمجنون بل حتى البهائم لو رآها قد وقعت في إفساد مال لتعين الكف والمنع لها؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن موضوع الحسبة يشمل جميع تصرفات وأفعال الإنسان في جميع الميادين والمجالات سواء في ذلك ما يتعلق بالاعتقادات أو العبادات والشعائر أو المعاملات وكذا الأخلاق والفضيلة وكذا ما يتعلق بالطرق والدروب والحرف والصناعات وتعبير أكثر حداثة فالحسبة ولاية تخدم قاعدة الإمامة الكبرى² وهي سياسة جنائية (انطلاقاً من واجب البلاغ عن الجرائم والشهادة والإثبات)³ وهي سياسة اقتصادية ومالية (حيث المحتسب في مجال المال والاقتصاد مراقب حازم ومرشد حاذق ومناضل من أجل حماية الشعب من مستغليه... وحماية المال العام والاقتصاد الإسلامي من أن تمتد يد السوء لتحاول إفساده والتأثير فيه)⁴ والحسبة أيضاً ضبط اجتماعي وأخلاقي وذلك لحماية الوطن والمواطن من الآفات الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية بطريق

¹ - ظافر القاسمي نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي الكتاب الثاني: السلطة القضائية (615).

² - الدكتور عبد الله بن عبد العزيز، الدرعات القواعد الإجرائية في المرافعات الشرعية ص (10).

³ - د. محمد أحمد حامد، التدابير الاحترازية في الشريعة والقانون ص (105).

⁴ - د. أحمد الحصري، السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي (406) (414).

الانضباط الاجتماعي ومراعاة الآداب العامة والتقاليد والعرف وهو ما أفردت له الدراسات الفقهية والتاريخية والحضارية¹.

وهذا ما نريد الكلام فيه والتركيز عليه في المبحث الموالي وقبل ذلك يمكن أن نقرر ما أقره كل من درس هذا النظام الرائع من أن مقصده والهدف منه هو أن يجعل الحياة العامة للمسلمين (فاضلة ونظيفة ونظيمة)².

دور الحسبة والمحتسب في حماية البيئة

تمهيد:

لقد بينا أن الحسبة نهج إسلامي قويم يجعل حياة المسلمين فاضلة نظيفة ونظيمة في أدق المسائل كما ظهر لنا أن المحتسب شخص مراقب حازم، ومرشد حاذق، ومفتش عام، وواعظ مناضل، بكل ما تحمله هذه الصفات من معنى وبالتالي فمجال عمله هو البيئة والمحيط والوسط سواء كانت هذه البيئة بمفهومها الخاص الوسط الطبيعي الذي يحيط بالإنسان من هواء وماء وتربة وما يتعلق بها وتولد منها من نبات وحيوان وموارد أم بمفهومها العام الوسط المعنوي والفكري والأخلاقي وما يتعلق به وهذا يدعونا إلى الكلام في تحديد مفهوم البيئة وكيف يحميها المحتسب ويعمل على حمايتها وصحتها ثم نركز (ثانياً) على حماية البيئة الطبيعية (المادية) ونذكر بعض النماذج من التاريخ والحضارة الإسلامية في ذلك وكل هذا يبحث في المطالب التالية:

مفهوم البيئة ومكوناتها

و لا يمكن أن يتضح مفهوم الحماية حتى نفهم المعنى المقصود للبيئة وذلك في ما يلي:

¹ - د.عبد الباقي علي محمد، نظام الاحتساب وحماية الوطن والمواطن، بين المنهج الإسلامي والواقع المعاصر ص(19).

² - د. لقبال موسى ص (78).

البيئة في اللغة: من باء ييوء بوعا بمعنى رجع وباء بحقه اعترف به وتبوء نزل وأقام.. وبوأئتك بيتا اتخذت لك بيتا وفي التثنية العزيز ﴿أَنْ تَبُوءَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ يَبُوءَاتٍ﴾¹.
والبيئة المكان الذي تتوفر فيه الشروط الملائمة لمعيشة كائن حي وهي المنزل والحال فهذه خلاصة ما جاءت به كتب اللغة² في مفهوم البيئة التي تعني المكان الملائم لمعيشة الكائن الحي كالنزل والبلدة والإقليم، والأرض كلها (بيئة) لأنها المكان الذي تعيش فيه الكائنات الحية على مختلف أنواعها.

وأما تعريف البيئة في الاصطلاح:

فلفظ "البيئة" قد شاع استعماله في هذا الزمان الى درجة أن تلقي بالقبول وكأن معناه قد صار محل اتفاق عند أهل الاختصاص وغيرهم، في حين أنه من المرونة بحيث يتسع مدلوله كثيرا حتى يصل الأمر من المكان والمنزل إلى اعتبار الأرض كلها بيئة، ولذلك كان اللفظ بحاجة إلى لفظ آخر يضاف إليه حتى يحدد مجال الدراسة وموضوع البحث فيقال:

البيئة الطبيعية، والبيئة الثقافية، والبيئة الاجتماعية، ولكن مع هذا الإضافة التفسيرية فإن مفهوم البيئة لا يزال محل غموض واختلاف فيما يدخل في التعريف وما لا يدخل فيه من عناصر وقيود وأجزاء خصوصا مع ظهور المشكلات التي تهدد سلامة واستقرار كوكب الأرض كالتلوث واستنزاف المصادر الطبيعية ومشاكل التنمية...

هذا بالإضافة إلى التداخل بين مجالات اللفظ المتعددة، فالبيئة الثقافية تتأثر وتؤثر في البيئة الطبيعية، والاجتماعية تتقاطع في كثير من عناصرها مع البيئة الثقافية وهكذا.. ولذلك كثرت التعريفات واختلفت عباراتها.

¹ - سورة يونس الآية (87).

² - وأشهرها لسان العرب (38/1) القاموس المحيط (34)، المصباح المنير (92/1) وغيرها.

إلا أنني عند التصفح المعن للتعريفات المختلفة الموجزة والمطبعة، القاصرة والمطلقة سواء في ذلك تعريفات وثائق المؤتمرات الدولية أو قوانين البيئة أو ما ورد من تعريفها في البحوث والدراسات البيئية المتخصصة وصلت إلى أن الخلاف قد ينحصر في اتجاهين: اتجاه مضيّق لمفهوم البيئة، واتجاه موسّع، وفيما يلي: عرض لتعريفين للبيئة من تعريفات الدراسات المتخصصة أراها أهم التعريفات الواردة وأقربهما إلى المنهج المختار في هذا البحث وما يأتي فيه من بيان لمهمة المحتسب في هذا الشأن (حماية البيئة).

التعريف الأول: هي الوسط الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان وباقي الكائنات الحية الأخرى ويمارس فيه أنشطته المختلفة الإنتاجية والاجتماعية¹.

التعريف الثاني: هي كل ما يحيط بحياة الإنسان في هذا الكون من ظواهر وعناصر وموجودات مادية ملموسة ومحسوسة وما يتصل بالإنسان من مفاهيم ومعلومات وثقافات وقيم دينية ومعنوية².

إن هذين التعريفين يتفقان على أن البيئة هي: كل ما يحيط بالإنسان من مكونات وأن هذه المكونات منها ما هو مادي طبيعي، ومنها ما هو معنوي، وهذا يدعونا إلى بيان أن للبيئة مكونات مادية وأخرى معنوية:

فالأولى: هي البيئة الطبيعية وتشمل كل ما يحيط بالإنسان من عناصر أو معطيات حية أو غير حية وليس للإنسان أي دخل في وجودها مثل الصخور وموارد المياه وعناصر المناخ والتربة والحيوانات البرية وغيرها.

¹ - عبد الجواد أحمد عبد الوهاب التشريعات البيئية ص (13) نقلاً عن بحث بعنوان مدى سلطة الدولة في رعاية البيئة من منظور إسلامي ص (14) إعداد الطالب علي بن جلال بن محمد العبري إشراف د. فتحى الدين. كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية (1420 هـ - 1998 م).

² - يوسف إبراهيم السلوم العلوم البيئية والتنمية العبيكان الرياض ط1 (1417 هـ - 1996 م).

والثانية: وهي البيئة المشيدة أو الحضارية وهي كل ما أضافه الإنسان من عناصر أو معطيات بيئية تمثل نتاج تفاعله واستغلاله لموارد بيئته الطبيعية وهذه مصدرها الإنسان، وبفضل فعاليته في بناء الحياة بكده وكدحه ونتاج عقله وعلمه وإبداعه، ولا شك أن اعتبار عمل الإنسان ونتاج فكره وإبداعه ماديا ومعنويا جزء من البيئة أكثر انسجاما مع مفهوم البيئة ومعناها اللغوي، كمكان استقرار وموطن إقامة، ودار ابتلاء تتجلى فيها مواقف الإنسان وأعماله إصلاحاً وتعميراً أو فساداً وتدميراً وهذا نعتبر هذين التعريفين هما الأقرب لمعنى البيئة ومكوناتها لأنهما اعتبرا كل ما يحيط بالإنسان هو البيئة ولأنهما ذكرا مكونات البيئة المادية والمعنوية وبتفصيل أكثر المكونات الطبيعية والمكونات الصناعية والمكونات المعنوية وهي تشكل مثلثاً ذا ثلاثة أضلاع:

أما الضلع الأول فتمثله: المكونات الطبيعية: وتشمل (الهواء والماء والتربة و(المكونات) وهي النباتات والحيوانات، أما الضلع الثاني فتمثله: المكونات الصناعية وتشمل المساكن ومؤسسات التعليم وأماكن الاستشفاء والمنشآت الصناعية والمراكز التجارية فضلاً عن الطرق والموانئ والمطارات وقد اتسعت البيئة المشيدة على المستوى العالمي والمحلي وأصبحت ساحة بعض المدن والعواصم تصل إلى مئات الكيلومترات تضم منشأتها الملايين من الناس ولا يخفى ما لهذا من تأثير على المكونات الطبيعية (أرضاً ومناخاً وموارد).

أما المكونات المعنوية: وتمثل الضلع الثالث من مثلث البيئة وهي في حقيقة الأمر تمثل الأساس قبل الضلعين (الطبيعي والصناعي) اللذين هما محل اتفاق وإجماع الباحثين والمهتمين بقضايا البيئة وعلومها أما المكونات المعنوية فلا يزال الحديث عنها ثانوياً والإشارة إليها عرضية رغم إشارة أشهر مؤتمر للبيئة (استوكهولم 1972)¹ إلى الجزء المعنوي من مكونات البيئة فما

¹ - تعريف مؤتمر استوكهولم للبيئة هي "رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما ومكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته".

أضافه المؤتمر من عبارة "رصيد الموارد الاجتماعية" إنما يقصد به المكونات المعنوية التي تشمل النظم والمؤسسات التي تمثل المنهج العام الذي يضبط حركة الإنسان في الحياة والتي تصدر عن المجتمعات البشرية إشباعاً لحاجاتها وتطلعاتها المستقبلية وتوجهها. ومن هذه المكونات المعنوية ما هو إلهي المصدر كالدين ومنها ما هو نتاج الفكر الإنساني عبر مسيرة البشرية المتوالية منذ بداية الوجود الإنساني على هذه الأرض وأهم هذه المكونات الدين والعلم والمجتمع وتظهر أهمية عنصر الدين: في أن علاقة الإنسان بالكون لا بد أن يضبطها نظام وتسير وفق مبادئ وأسس ولذلك كان الدين وحده ينأى بذلك لما يحتويه من مفاتيح أساسية لفهم الوجود ولأنه يضمن للإنسان أفضل منهج لمعرفة دوره في الوجود وينأى بالإنسان عن دواعي الهوى والقصور في الإدراك والتصور...

فالدين نعمة لا تقل عن أية نعمة أخرى من الموارد المادية في البيئة والمجتمع بل إن الإسلام هو النعمة العظمى التي لا تدانيها نعمة في هذا الوجود¹ ولقد قال هنري برجنسون: لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات لكنه لم توجد قط جماعة من غير ديانة² على أن الدين الذي نقصده - هنا - كأحد مكونات البيئة هو الإسلام دين التوحيد الذي دعت إليه رسل الله والذي يتفق مع طبيعة وفطرة الإنسان ونظام الكون كله.

كيف يحمي المحتسب البيئة

لا شك أن المفهوم المختار قد اتضح واتضح معه مفهوم حماية البيئة ودور المحتسب في حمايتها والذي يمكن أن نقسمه إلى قسمين هما:

¹ - د الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ص (87) مؤسسة الرسالة بيروت ط1 (1402 - 1982).

² - محمد عبد الله، دراز كتاب الدين ص (82 - 83).

1- حماية البيئة من جانب الوجود 2- حماية البيئة من جانب العدم

أولاً: حماية البيئة من جانب الوجود: فقد تكلمنا عنه سابقاً ابتداء من وجوب المحافظة على الفطرة والخلقة أو النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق وتدعيم كل ما يجعل البيئة الطبيعية والمشيدة (الحضارية) لجميع مكوناتها الطبيعية والصناعية والمعنوية صحيحة سليمة معافاة، قوية نظيفة ونظيمة ولاشك أن أركان الإسلام وأحكامه وخصائصه ونظمه كلها تدعم هذا المفهوم، وبما أن الحسبة تقوم على فريضة وأصل الأمر بالمعروف، والمعروف يشمل "كل ما عرف الشرع حسنه فأمر به إنجاباً واستجاباً ودعا إليه دعاء طاعة وسنة"¹ فإن كل ما يحفظ البيئة جواً وهواءاً وماءاً وتربةً ومنشآت ومؤسسات وبنى تحتية وثقافة وأخلاقاً وقيماً ومعاني إنسانية يصير واجبا وطاعة ومعروفاً يجب أو يستحب قيامه وتوطيد أركانه ويدخل دائرة الأمر بالمعروف حتى لا ينسى نبينا عليه الصلاة والسلام، من أن يرشد الإنسان لحماية البيئة بالشجرة والتشجير ولو عند قيام الساعة فيقول: إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة... فليغرسها...)² أما جانب العدم (الجانب السلبي) فتتلخص وظيفة المحتسب في قمع وإنكار كل ما يفسد ويلوث ويمرض ويوبئ البيئة وهو الشق الثاني من أركان أصل الحسبة وقاعدتها وهو النهي عن المنكر الذي هو "كل ما نكره الشرع وحكم بقبحه ونهى عنه تحريماً وتزيهاً وحذر منه تحذير معصية أو بدعة". وفي مقدمة المنكر البيئي القضاء أو الوقاية أو التخفيف من التلوث بمفهومه الدقيق الشامل، وقد عرف التلوث بتعريفات كثيرة منها: أنه التغير غير المرغوب في الخواص الطبيعية والكيميائية أو الحيوية للغلاف الهوائي أو الغلاف الترابي أو الغلاف المائي للأرض والذي قد يؤدي إلى الإضرار بحياة الإنسان، أو غيره من الأنواع المرغوب فيها، أو

¹ - تعريف المعروف: رسالة الشرك ومظاهره الشيخ مبارك الملي دارالبعث قسنطينة ط3 (1403/1983).

² - حديث إذا قامت الساعة. البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في الفتح الرباني للساعاتي (23 / 203).

³ - الملي تعريف المنكر في نفس رسالة الشرك ومظاهره ص (288).

بالعمليات التصنيعية وبظروف الحياة أو القيم الثقافية أو الذي يؤدي أو قد يؤدي إلى استنزاف أو فساد أو إتلاف مصادر المواد الخام¹ إذن فضايط التلوث هو: الضرر والإضرار كما ورد في أصل التعريف اللغوي² إذ الأصل الشرعي أنه لا ضرر ولا ضرار³ وكذلك فإن "وجود أي مادة أو طاقة في البيئة الطبيعية يغير كيميائها وكميتها أو في غير مكانها أو زمانها بما من شأنه الإضرار بالكائنات الحية أو بالإنسان في أمنه أو بصحته أو راحته.

المطلب الثالث: نماذج تاريخية وفقهية عملية من دور المحتسب في حماية البيئة
وفيما يلي: نماذج نعرضها موجزة وغير مبوبة لنؤكد ما أصلنا له من دور المحتسب في مجال حماية البيئة بمكوناتها الثلاثة:

- 1 - الأخلاق والآداب الكريمة عنوان المجتمع فإذا خلا منها لم يبق له قوام ولذلك فإن للحسبة في مجال الأحلاف الميدان الفسيح لأن المعروف ما كان معروفاً عند الناس وعكسه المنكر (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)⁴ ولا عجب أن اخترعت بعض الدول ما يسمى (بشرطة الآداب) للمحافظة على الآداب العامة... وإذا كانت الأخلاق كلها محمودة مطلوبة فإن المقصود منها في باب الحسبة ما كان ظاهراً وذلك كالتطلع على الجيران من السطوح والنوافذ وجلوس الرجال في طرقات النساء وأماكن خروجهن وتجمعهن ومضايقتهن وما يدعو خاصة إلى الخروج عن العفة والمروعة.
- 2 - اشترطوا في كل حرفة أو صنعة شروطاً منها خاصة.
- أ - أن يكون مكان الصنعة أو الحرفة لا ضرر فيه (النظافة والسعة والتهوية)

¹ - موقف الإسلام من حماية البيئة والمحافظة عليها والرقابة الصحية مصطفى يونس ص (5).

² - التلوث في اللغة: التلوث تلوث الماء والهواء ونحوه: خالطته مواد غريبة ضارة المعجم الوسيط مادة لوث.

³ - قاعدة لا ضرر ولا ضرار رقم (19) مجلة الأحكام العدلية دور الأحكام شرح مجلة الأحكام علي حيدر (1 / 32 - 33) دار الكتب العلمية بيروت.

⁴ - قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ص (32).

ب - إصلاح الأدوات للاستعمال

ج - صحة ودقة مقاييس الوزن والكيل والدرع

د - خلو السلعة أو المصنوع من الغش والتدليس وكل نوع يجب أن يتميز عن بقية الأنواع وإن اقتضى ذلك وضع العلامات المميزة حتى ذكر الفقهاء (وجوب وضع الزعفران على لحوم المعز حتى يعرف لحمها ويميز عن غيره أو أن تبقى أذنان المعز معلقة على لحومها إلى آخر البيع...) ويمنع إبراز اللحم خارج الحوانيت.

هـ - أهلية من يباشر الحرفة أو الصناعة حتى ذكروا امتحان الكحال (طبيب العيون) والمجبر والفصاد والحجام والجراح وغيرهم.

3 - ذكر ابن خلدون أن المحتسب يمنع من المضايقات في الطرقات ويمنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتعينة للسقوط بهدمها، وإزالة كل ما يتوقع منه الضرر على السابلة¹ فيمنع المحتسب كل ما يؤدي إلى غلق الطريق أو تضيقه على المارة أو وضع السلع والأطعمة فيه أو تلويث الأرض بالدماء أو طرح القمامة في الدروب والأزقة.

4 - تفقد مجاري المياه العامة في المدينة والتنبيه على إصلاحها ويمنع كل ما يؤدي المارة كإطلاق الكلاب الضارية المؤذية.

5 - تأديب الناس على رثة اللباس وسوء الحال كما فعل سحنون، ويحدثنا التاريخ عن أهل الأندلس أنهم كانوا أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق

¹ - المقدمة (1 / 280).

هم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويتناح صابوناً لغسل ثيابه به ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها¹.

6 - حث الناس على الاحتراف واعتبار أن المهن الصناعية الضرورية للمجتمع فرضاً كفاثاً فإذا احتاج الناس إليها فرضها المحتسب على أهل الإتقان لها حيث تصبح فرض عين في حقهم.

7 - المنع من التسول فإذا تعرض للمسألة ذو قوة على العمل زجره المحتسب وساعده على طلب العمل ويحدثنا المقرئ عن أهل الأندلس، وهم أهل احتياط وتديبر في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظامته... إلى أن يقول عن ظاهرة التسول: إنها مستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على العمل يطلب سبوه وأهانوه فضلاً عن أن يتصدقوا عليه فلا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر².

8 - الحرص على صحة السكان وسلامتهم ودفع كل ما يضر ويؤدي من قتل الكلاب الضارية وغيرها كما فعل سحنون وقد أشرنا إليه سابقاً.

9 - لقد كان من عوائد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سؤال الأطباء عن أهوية البلدان ونفعها للأمراض وجمع المرضى من مجذومين وعميان وزمنى وأجرى لهم الأرزاق وبنى لهم المستشفى وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً وقال للمحتاجين لا تسألوا³.

¹ - الشيخ أحمد بن محمد المقرئ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (1 / 223) دار صاير بيروت (1388 - 1968).

² - المرجع نفسه (1 / 220).

³ - مصطفى نجيب حماة الإسلام (155 - 156).

10 - في الرفق بالحيوان:

- الأخذ على أرباب البهائم بعلوفتها إذا قصرُوا وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق، وكان المحتسب يأمر الحمالين إذا وقفوا في الميادين أن يضعوا الأحمال عن ظهور الدواب !.

- وكان يشترط فيمن يزاول مهنة البيطرة أن يكون خبيراً بعِلل الدواب وعلاجها وأن يكون على خلق ودين كي يصدّه عن التهجم على بيطرتها أو هلاكها وعطبها¹.

11 - إحداث نظام العسس (الحراسة) في المدن وجعلوا للمدينة دروباً تغلق بعد العتمة ونظموا المدن فوضعوا المنار في الطرقات وعلامات الأميال في الطريق ورقموا أعداد الأميال، بل إن المسافر لا يسير في الأندلس - كما حكى المقرئ - فرسخين دون ماء أصلاً وحيثما سافر من الأقطار وجد الحوانيت في الفلوات والصحارى والأودية ورؤوس الجبال تبيع الخبز والفواكه والخبز واللحم والخوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة².

12 - منعوا كتاب الشوارع أن لا يكتبوا سب أحد ولا هجوه ولا ما يتضمن سعاية للسلطان ولا شيئاً سوى ما يجري بين الناس من استعلام الأخبار³.

13 - تنظيم الأسواق كان أحد أفضال نظام الاحتساب في الإسلام على الحضارة الإسلامية والإنسانية، من ذلك أنهم جعلوا لكل صناعة سوقاً تختص بهم ونقابة تجمعهم وجوزوا للمحتسب أن يجعل لكل صناعة عريفاً من صالح أهلها خبيراً ببضائعهم مشهوراً بالثقة والأمانة يكون مشرفاً على أحوالهم، ويطالع المحتسب بأخبارهم كما فعل يزيد بن حاتم (156 هـ) حيث نظم أسواق مدينته القيروان وخصص لكل صناعة سوقاً وجعل المحلات التجارية صفاً متصلاً يقابله من الجهة الأخرى صف آخر وعين على كل صناعة عريفاً من بين حذاق الصناعة، يراقب سير العمل ويدافع

¹ - الشيرازي: نهاية الرقبة في طلب الحسبة ص (27).

² - نفح الطيب (1 / 226).

³ - السقطي آداب الحسبة ص (48 - 49).

على حقوق الأجراء ويحافظ على العلاقات الودية بين أرباب المهن وعمالهم، ويمنع الغش في الصنعة والاستبداد بالعمل الحرفيين¹.

14- أصحاب الحرف المختلفة: ونذكر منهم خصوصاً:

أ- القصابين كان المحتسب يأمرهم أن يحملوا اللحوم في أوعية يضعونها فيها كل ليلة، ويغسلونها من القد، ومنع هؤلاء من رمخ الذبيحة عند سلقها لئلا ينفخ فيها من به بخار (رائحة كريهة) فيتغير طعم اللحم، وأمرهم أن يفردوا لحم المعز عن الضأن ولا يخلط بينهما، وأن ينشر ملحاً مسحوقاً على القرمة التي يقصب عليها اللحم لئلا يذب عليها شيء من الهوام ويمنع القصابين من إبراز اللحم وعرضه خارج الحوانيت².

ب- العجائين والخبازين كان الخبز محط اهتمام المحتسبين لأنه حاجة يومية ومعرضة لوقوع التلاعب في مقاديره فكانوا يزنون الخبز وكان معلوم الأوزان محدد الأسعار وعلى المحتسب أن يراعي أن يكون الخبز جميل الشكل وذلك بوضع الأباذير الطيبة الصالحة... ولا يخرجونه من التنور حتى يتضح حق نضجه من غير احتراق فيه.. كما يلزم كل حانوت (مخبزة) بكمية معينة لكيلا يختل البلد عند قلة الخبز ويلزمهم بذلك إن امتنعوا عنه³.

ج- أما العجائين فيراعي المحتسب العجان ويوجب عليه أن لا يعجن بقدميه أو بركبتيه ولا بمرفقيه لأن في ذلك مهانة للطعام وربما قطر في العجين شيء من عرق إبطه أو بدنه فلا يعجن إلا وعليه ملعبه أو بشر مقطوع الأكمام ويكون ملثماً أيضاً لأنه ربما عطس أو تكلم فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجين ويشد على جبينه عصابة بيضاء لئلا يقطر من عرقه شيء في العجين ويخلق شعر ذراعيه لئلا يسقط شيء منه في العجين⁴.

¹ — ابن عذاري: البيان المغرب عن أخبار المغرب (1/ 92).

² — د. عبد الشافي علي أحمد نظام الإحتساب ص (24).

³ — الشيرزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة.

⁴ — د. الحصري السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي ص (407).

وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان في يده مذبة يطرد بها الذباب ويدخل في وظيفة المحتسب مراقبة الدقيق الذي يصنع منه الخبز لئلا يغش بالجلبان والبسار فإنهما يوردان وجه الخبز وقد يعجن معه البورق (وهو ملح يستخرج من بحيرة واق شمال إيران ويستعمل في تلميع الخبز) فإنه مضر بالصحة مع إنه يحسن وجه الخبز كما يمنع المحتسب العجان من خبز العجين حتى يختمر فإن الفطير ثقيل في الوزن والمعدة¹.

د- الفرانين فإن المحتسب يأمرهم بأن ترفع سقائق حوانيتهم وتفتح أبوابها ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان لئلا يتضرر الناس لذلك، ويأمرهم بإصلاح المداخل وتنظيف بلاط الفرن.....

هـ - الطباخين قال ابن عبد الرؤوف: يجب على صاحب الحسبة أن يفقد الطباخين عند الغدو والعشي فيقف - بالغدو - على اللحم الذي منه يطبخون لئلا يكون لحماً رديئاً أو من غير الصنف الذي يؤكل يبيعونه بيع الطيب وأما بالعشي فلئلا تبقى لهم بقية فيزيدون عليها غيرها ويخلطوها ثم يعيدوا طبخها ويؤمرون بتنظيف الرحات وتغطية القدور وتعاهد الذباب عنها².

و- يباعي الحوت ويجب على المحتسب أن يتخذ لهم مكاناً يكون فيه سوقهم بمعزل عن الطريق لما تعودوا من الرائحة - ويلزمون بتنظيف الساحة، ويمنعون من طرح حوت البحر في الماء العذب فإنه يفسده وعن خلط البائت بالطري.....³.

¹ - المرجع نفسه.

² - ثلاث رسائل أنلسية في الحسبة ص(97/96) نقلا عن كتابة البحث العلمي والدراسات الإسلامية.

³ - المرجع السابق.

نتائج:

- 1- هذه أمثلة ونماذج قد تظهر بسيطة ساذجة غير أن العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالأشكال والصور والمباني رغم أن بعض هذه الوسائل لا تزال الحاجة ماسة إليها إلى يوم الناس هذا.
- 2- رغم تداخل وظيفة المحتسب بوظائف أخرى كالقضاء والمظالم قديماً، أو بعض الوظائف الحديثة كأجهزة المراقبة للجودة وقمع الغش وبعض وظائف البلدية وربما بعض مصالح الأمن والشرطة إلا أن روح الحسبة ما يزال قائماً ولا تزال بعض الفراغات لا يسدها إلا الاحتساب وبعضاً من الخلل لا يقوم به إلا إذا قامت الأمة والأفراد بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي نالت به هذه الأمة فضيلة الخيرية فكانت خير أمة أخرجت للناس.
- 3- يخطئ كل من ينظر إلى البيئة والمسألة البيئية كما لو كانت اهتمامات منفصلة عن نسيج المجتمع كله بكل مكوناته المادية والمعنوية وكل تقصير من الإنسان يؤدي إلى نتائج خطيرة تهدد الإنسان والبيئة على حد سواء.
- 4- يمكن الاستفادة من نظام الحسبة العريق في إحداث تنظيمات إدارية تخص (البيئة) على منوال (شرطة الآداب) و(شرطة العمران والعقار) كأن تسمى - مثلاً بشركة البيئة - وإن كان ذلك لا يعنى عن نشر الوعي البيئي في جميع أوساط المجتمع حتى تكون حماية البيئة والمحافظة على مكوناتها وعناصرها سواء جلت أم حقرت ثقافة يومية لجميع أفراد المجتمع وذلك اقتداءً واتباعاً لهدى نبينا الكريم الذي يعد "إمارة الأذى عن الطريق" من شعب الإيمان.